مداخلة البروفسور سليم دكّاش اليسوعيّ، رئيس جامعة القدّيس يوسف في بيروت، في الجلسة الافتتاحيّة للمؤتمر الدوليّ تحت عنوان "التربية الإغناطيّة في زمن الأزمات والتحدّيات"، يوم الجمعة الواقع فيه 26 تشرين الثاني (نوفمبر) 2021، في الساعة العاشرة من قبل الظهر – مدرّج أبو خاطر.

أصحاب المعالي والسعادة، سيادة المطارنة، حضرات الآباء والأخوات،
حضرات السادة والسيّدات،
أعزّاءنا المعلّمين والطلّاب،

أودّ بدايةً أن أرحّب بكم جميعًا في هذا المؤتمر حول التربية الإغناطيّة الذي تمّ تنظيمه تكريمًا للقدّيس إغناطيوس الذي أُصيب قبل 500 عام في معركة بامبلونا Pampelune كمحارب نبيل في خدمة ملك إسبانيا. إذا كان اليسوعيّون يتذكّرون هذا الحدث، فلأنّه كان اللحظة التي وعى فيها القدّيس إغناطيوس دعوة أسمى، وهي دعوة أن يتبع بحريّة معلّمه الحقيقيّ والدائم، يسوع المسيح. الجسد الجريح والساق المكسورة قادا إغناطيوس إلى الاهتداء وتأسيس جماعة تعمل من أجل خلاص البشريّة المتعطّشة إلى الثقة والسلام والعدالة. باختيار تكريس هذا المؤتمر للتربية الإغناطيّة في قلب الأزمات والتحدّيات، وأفكّر بشكلٍ مباشر في الأزمة المعنويّة والماديّة التي نرزح تحت وطأتها، تدعونا اللجنة المنظّمة للتفكير في الوسائل التي توفّرها هذه التربية للنظر بشكلٍ أفضل في المخاطر التي تعرّض للهلاك، في الحاضر وفي المستقبل، مجتمعنا الوطنيّ والأكاديميّ وكذلك الأشخاص الذين يشكّلونه. عنوان هذا المؤتمر أبعد ما يكون عن الحياد أو اللامبالاة، فقد اختارته الجامعة وهي إلى جانب أولئك الذين يريدون الخروج من الأزمة والتمزّق وبناء عالم جديد.

التربية التي نصفها بالإغناطيّة هي فنّ ونظام تربويَّين إستباقيَّين تدعمهما رؤية إنسانيّة من الثقة في الإنسان والإيمان بالله. إنّها الثقة لأنّ الإنسان هو في يسوع المسيح القائم من الموت. والإنسانيّة تقول إنّ الإنسان هو مقياس كلّ شيء، ولكنّه الإنسان الذي يثق في الوقت نفسه بالله وبنفسه. بدأت هذه التربية من خلال حياة إغناطيوس وخطابه، واستمرّت من خلال الآلاف من الشهود اليسوعيّين والعلمانيّين الذين استمرّوا في حمل شعلتها في المدارس والجامعات على مرّ القرون. التربية اليسوعيّة، كما قلنا، هي فنّ نقل المعرفة ووسائل بناء شخصيّة المتعلّم. لكنّها أيضًا فنّ إنسانيّ لتعليم فنّ العبور وتعلّمه أي إنّها بالطبع، طريقة نقل، بل قدرة أكبر على التحمّل المعابر الصعبة. إنّها أخلاقيّة خاصّة بأوقات الأزمات، الثقة، مثل الله، في إمكانيّات البشر الذين ليس لديهم مخزون آخر غير عقلهم وجسدهم. تعلّمنا هذه التربية كيفيّة التغلّب على التمزّقات وإعادة بناء النسيج الاجتماعيّ والفرديّ من خلال إعادة الثقة إلى المجتمع وإلى كلّ فرد من أفراده.

بمعزل عن رغبتنا في استباق مساهمات المحاضرين الذين أرحّب بهم وأشكرهم بحرارة وبعضهم غادر بلاده للمجيء إلى بيروت، يجب أن تعطينا النزعة الإنسانيّة المطبّقة في الجامعة اليسوعيّة بعض الدلائل التي تساعدنا على الخروج من الأزمة. كان الأب آرثر دا سوزا Arthur da Sosa، رئيسنا العامّ، قد وضع بعض المعايير التي تحدّد خصائص لا تتناول الكليّات والمدارس اليسوعيّة فحسب، ولكن أيضًا ما يمكن أن تكون عليه الجامعة اليسوعيّة وما ينبغي أن تكون عليه.

في قمّة هذه الخصائص، **تأتي الشموليّة الجامعة**، المستوحاة من الكاثوليكيّة المدعوّة لدمج أولئك الذين ينالون نعمة الإيمان بيسوع المسيح وبالتالي، ولضمّ التنوّع الكبير بجميع أشكاله إليها، وهذا ما زرعته ولا تزال تزرعه جامعة مثل القدّيس يوسف على الرغم من المشاكل المتأتّية عن هذا الاختيار من أجل استقبال التنوّع المذهبيّ والدينيّ والتحدّي المتمثّل في إنجاح جامعة التنوّع، ذلك التنوّع الذي يسير في جميع الاتّجاهات عندما يصبح أرضًا خصبة للعنف.

وثاني هذه الخصائص هي **التقدميّة** بقدر ما تنفتح التربية في الجامعة على الفهم التدريجيّ للعالم في تعقيداته ومعاناته، حتّى يتمكّن الإنسان من إعطاء عالمنا صورة أكثر رحمة وأكثر ألوهة. لا يمكن لطالب طبّ، أو هندسة، أو حقوق، أو أدب، أو علاج نطق، أو صيدلة، أو إدارة أعمال، أو كيمياء، أو فيزياء أن يرضي نفسه باكتساب المهارات الفكريّة فقط في إحدى الجامعات اليسوعيّة. إنّه مدعوّ، يومًا بعد يوم، إلى التعلّم وهو يصغي إلى صرخات الألم وطموحات شعبه. إذا كانت الجامعة، جامعتنا، قد اختارت المساعدة الرحومة أثناء الجائحة ثمّ بعد تدمير مرفأ بيروت، فذلك لأنّها اعتمدت على تراثها التعليميّ لمواجهة النزعة إلى الموت. لقد علّمتنا الأزمة الاقتصاديّة والاجتماعيّة أنّ المخرج، في ظلّ العوائق السياسيّة، لا يمكن إلا أن يكون بالمشاركة والتضامن.

ثالثًا، تُتَرجَم النزعة الإنسانيّة الإغناطيّة **بالتكامل وفي التكامل** من خلال الأخذ في الاعتبار إقتراح تنشئة دينيّة تنفتح على البعد المتسامي للحياة وتكون قادرة على تغيير الحياة الشخصيّة والاجتماعيّة ؛ وهذا يتطلّب تنشئة الشباب الإنسانيّة والروحيّة على الحريّة والمسؤوليّة من خلال مكافحة الجهل الدينيّ، وهذا يشكّل مهمّة المؤسّسات التعليميّة. تستعيد شرعة جامعة القدّيس يوسف في المادّة 4 هذه الحقيقة التي تجعل أولئك الذين مرّوا بمؤسّساتنا التربويّة، وخاصّةً التعليم العالي، إلى العيش في حالة توتّر بين السماء والأرض وبالتالي، دمج الإيمان بالله في شخصهم أو على الأقلّ دمج المسألة التجاوزيّة المتعلّقة بمعنى الدراسات والحياة.

إنّ البحث عن اتّحاد القلوب والعقول كخاصيّة رابعة ليس أبدًا دعوة إلى الطمأنينة الساذجة، بل هو في الحقيقة دعوة لتجاوز الصراعات والأزمات التي تهدّد الروابط الاجتماعيّة وتحمّلها ؛ يمرّ هذا الاتّحاد بالمصالحة ضمن العدالة. هذا البحث يعرف أنّ الاتّحاد لا يحدث بشكلٍ عفويّ، ولكن ضمن عمليّة تهدف إلى المصالحة بين أشخاص أعداء ليصبحوا شركاء في الإنسانيّة.

في هذا السياق، سيكون من المستَحَبّ الاستماع إلى المحاضرات المختلفة ضمن هذا المؤتمر والأخذ بها، سواء كانت تتمحور حول الملامح الفلسفيّة واللاهوتيّة الخاصّة بالتربية الإغناطيّة أو تقوم بإعادة قراءة ممارساتنا الخاصّة لأشكال هذه التربية المختلفة في جامعة القدّيس يوسف في بيروت. السؤال الرئيسيّ المطروح علينا هو التالي : في عصر الذكاء الاصطناعيّ وعلم الأحياء التكنولوجيّ، وفي مواجهة الإيديولوجيّات المذهبيّة التي تقضي على معنى الإنسان ودوره، وفي مواجهة الأزمات السياسيّة، والأخلاقيّة، والاقتصاديّة، والاجتماعيّة، ما الذي يجب أن تفعله الجامعة من أجل تعزيز إنسانيّة متكاملة من أجل خلاص الإنسان والمجتمع ؟ اليوم، نحن نعلم أنّ النزعة الإنسانيّة التي جعلت الإنسان سيّدًا بروميثيًّا مطلقًا للكون، هو بصراحة في أزمة إزاء الإساءات البيئيّة والعنيفة التي يرتكبها الإنسان نفسه، والجامعة تتحمّل مسؤوليّة في هذه الأزمة. دائمًا ما يكون للدراسات في العلوم الإنسانيّة في جامعة القدّيس يوسف دور في تجاوز التقنيّات البسيطة وفي بلورة إجابات ذات صلة بتساؤلاتنا الأساسيّة.

هذا المؤتمر، في ضوء البرنامج الدائم الذي يُعقَد خلال هذين اليومَين، لم يكن من الممكن أن يتمّ ويأخذ معنى بدون العمل المستمرّ الذي بادرت به اللجنة المنظّمة. أودّ أن أعبّر عن شكري وشكر جامعة القدّيس يوسف للمحاضرين المختلفين الذين سيقدّمون مداخلاتهم في هذا المؤتمر، وكذلك إلى اللجنة المنظّمة لهذا الحدث وأوّلًا، إلى النائب الأوّل لرئيس الجامعة الأب البروفسور صلاح أبو جودة اليسوعيّ. كما أشكر الأساتذة ندى ملّاح بستاني، والأستاذ فؤاد مارون، والأستاذ كريستيان توتل، الذين عملوا لشهور من أجل تنفيذ مثل هذا الحدث الذي يكرّم جامعة القدّيس يوسف والذكرى الحيّة لإطلاق "قذيفة المدفع" التي ضربت ساق إغناطيوس فقلب صداها رأسًا على عقب حيوات الملايين من الناس في عالم الأرض والسماء.

لمجد الله الأعظم *Ad Majorem Dei Gloriam*.